أبوليوس في الرواية الجزائرية المعاصرة
لمحـات في روايـة "حمامـة كانـط" لعائشـة كسـول

Apuleius in the contemporary Algerian novel
Glimpses in the novel "Kant's Dove" by Aisha Kassoul

د. عبد الوهاب شعلان [1] / جامعة الشريف مساعدية. سوق أهراس/ (الجزائر)، *abdelouaheb.chaalane@univ-soukahras.dz*

تاريخ الاستلام: 01 / 11 / 2023 تاريخ القبول: 15 / 12 / 2023 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2023

ملخص

تنزع هذه القراءة إلى تقصي آثار إحدى الشخصيات الأدبية و الثقافية الحاسمة في تاريخ الجزائر و الشمال الإفريقي ما قبل الإسلام، إنه أبوليوس . و ذلك من خلال تشكيل رمزيته الغنية و المتشعبة عند الروائية الجزائرية عائشة كسول في روايتها اللافتة " حمامة كانط"، حيث تستثمر هذه المنابع الخصبة لتطلق العنان لتأملات عن الأدب بوصفه طاقة تحرر عجيبة ، و تعيد في الآن نفسه تأويل التحولات و التناقضات المعاصرة عبر الحفر في مطموسات التاريخ و الثقافة الموغلة في الماضي.

الكلمات المفتاحية: أبوليوس _ حمامة كانط _ الأدب قوة تحرر_ تاريخ الشمال الإفريقي.

Abstract:

The present piece of reflection is an attempt to depict the impact of Apeleius, one of the most prominent pre-islamic literary and cultural figures in North Africa and Algerian history. Aicha Kassoul's striking novel 'Kant's Dove' formed Apeleius' rich and complex symbolism and invested in these fertile sources to unleash reflections on literature as a wondrous liberation energy. It reinterpreted contemporary transformations and contradictions digging into obliterated history and past culture.

Keywords: *Apeleius , Kant's Dove , literature as a wondrous liberation, North Africa and Algerian history*

[1] **المؤلف المرسل:** عبد الوهاب شعلان، **الإيميل:** *abdelouaheb.chaalane@univ-soukahras.dz*

لم تقترب الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية أو الفرنسية من تاريخ الشمال الإفريقي ما قبل الإسلام إلا لماما .فقد دأبت على العودة إلى بعض الرموز و المحطات في التاريخ الإسلامي ، كما نجده عند وطار وبوجدرة وواسيني خصوصا ، وذلك في سياق إعادة تأويل غذتها التموقعات الايديولوجية أساسا. بيد أن تاريخ الجزائر الحديث ، و لاسيما تاريخ الحركة الوطنية والثورة هو الذي شكل المعين الخصب ، كما هو سائد ومعروف .

ونحن ، في هذه الإطلالة، أمام رواية أتيح لها أن تخرق متداولا ، و أن تنأى بنفسها عن معهود ، ضاربة سهامها في تاريخ ثقافي بعيد ، ظل طويلا مجالا للبحث التاريخي و الاستثمار الهووي identitaire في أسوأ الأحوال . إنه مدار الجزائر النوميدية ، وما عرفه هذا المجال الحضاري من تقلبات و تحولات كبرى. تعود بنا الروائية عائشة كسول إلى هذ المنهل الخصب بأفق الروائي المتسائل و نزوعه الطبيعي إلى الدهشة أمام الوقائع و الأشياء ، وذلك في روايتها " حمامة كانط la colombe de Kant "

تؤسس عائشة كسول عالمها الروائي في سياق تأملات في مآلات الجزائر الحديثة بكل انعطافاتها الثقافية و الحضارية و السوسيولوجية ، مقيمة ما يشبه التناظر مع ما طرأ على هذه الأرض من تصدعات و انتصارات و هزائم في العهود القديمة ما قبل الإسلام . و هكذا ، يعلو في النص الرمز المقاوم بكل ما ينطوي عليه من تناقضات بحكم مكائد التاريخ و إكراهات النفس البشرية . إذ يحضر يوغرطة و جوبا و تكفاريناس و ماسينيسا ، و غيرهم ممن غيروا المجرى. تتأمل الروائية هذه التحولات من شرفة الرواية التي لها حكمتها و عينها المتبصرة ، بعيدا عن حصون المؤرخ و قلاعه المنيعة التي غالبا ما تحول بينه و بين النفاذ إلى أعماق الأشياء و جواهر الوقائع.

و لكننا لا نروم الاقتراب من الرواية ضمن هذا المنحى الهام لامحالة ، و إنما آثرنا تقصي آثار شخصية شديدة الرمزية في الثقافة الجزائرية ، أعني بذلك شخصية أبوليوس بأبعادها المتباينة و التي لا تخلو من تناقضات و تعدد لافت.

يحضر أبوليوس في هذه الرواية حضورا مهيمنا لا يكاد يضاهيه سوى القديس أغسطين. و لا شك أن ذلك من شأنه أن يزيح الستار قليلا عن الخط الموجه للكتابة هنا . إنها المسألة الثقافية عموما ، و مسألة المعرفة في بعدها الأنطولوجي و الأدبي خصوصا. إن الإشارة الوحيدة تقريبا التي اقترن فيها الاسمان كانت متعلقة بتكوينهما المعرفي في جامعة قرطاج التي هيأت لهما مصيرا يكاد يكون متفردا ، أحدهما في مسار المقدس و الآخر في درب الدنيوي profane . و عقب ذلك مباشرة تشير الساردة إلى ما نراه خيطا ناظما لحركة الرواية " الوجود و المعرفة في الجزائر " être et savoir en Algérie (1) ، بكل ما يشكلهما من حمولات لغوية متعددة فرضتها تحولات التاريخ و مكائده : اللاتينية و العربية و الفرنسية و اليونانية و البربرية ، التي أسست لأفق الاختلاف و خصوبة العطاء عبر الزمن . و هو تعدد أعلن عنه جان عمروش ضمن وعي مأساوي واضح ، عندما رأى وجوده شاهدا على ظاهرة فريدة ، ذلك أنه نتاج ثقافة فرنسية تعاضدها جذور عميقة و أصيلة تمتد في تربة الشمال الإفريقي البعيدة (2) . إنها تراجيديا الانتماء عندما تتحول إلى معين للكتابة و التأمل في مصائر الكائن و الوجود البشري عموما.

تحاور الرواية رمزية أبوليوس المكثفة ضمن هاجس مهيمن و موجه لأفق التفكير و الكتابة معا ، إنه هاجس الأدب بوصفه قوة و طاقة عجيبة " la littérature plus qu' une force un mystère(3) . هكذا ، تلاحق الكاتبة أبوليوس و أغسطين ، مدفوعة بهذه القوة الغريبة و المتأبية عن الفهم الذي من شأنه أن يروي ظمأ الكائن إلى معرفة تحقق الاستقرار و تجلب الأمان الوجودي .

و لنعرج قليلا على بعض المنعطفات الواقعية التي أسهمت في تكوين هذا النص ، بملمحه المتسائل المغرق في حيرة انطولوجية واضحة المعالم. تعود بنا الساردة – البطلة في الآن ، إلى تلك المدرسة التي تشكل وجودها في سؤال المعرفة و عشق اللغات : الفرنسية و اللاتينية و اليونانية . يقترن مصيرها الفكري بأحد رموز الفكر و النضال ، إنه أندري ماندوز M. Mandouz ، أستاذ اللغة و الآداب اللاتينية في جامعة الجزائر إبان عهد الاحتلال الفرنسي ، الذي نذر نفسه و حياته الأكاديمية للقديس أغسطين و فكره الفلسفي و اللاهوتي ، متماهيا مع هذا الاسم الذي مثلت حياته و فكره مصدرا غنيا لتاريخ الفلسفة و الفكر الديني ، ولكن أيضا مجالا للأسئلة القلقة عن التاريخ و الهوية و الانتماء.

ومهما يكن من أمر ،فقد هام أندري ماندوز بأغسطين و أخلص له كما أخلص للجزائر ، وتحمل في سبيل كل ذلك ما لا يحتمل. لقد كان نموذج المثقف الذي يقرن التأمل النظري بالبراكسيس ، ضمن خط فكري شديد الأصالة و الإبداع ، تغذيه نزعة إنسانية تجد تجليها في رموز الحوار و التقارب الحضاري و التأسيس الأخلاقي للكينونة الإنسانية في آفاق الانفتاح و التعايش الخصب. لقد أتيح لهذا الاسم أن يفلت من سطوة الآلة الكولونيالية في استثمارها لرأسمال المثقفين الرمزي ، عندما وجهت " الرحالة و علماء الأركيولوجيا إلى تبرير الحضور الفرنسي بوصفه استمرارا لتاريخ روماني ضارب في القدم . إنهم كانوا يناضلون من أجل أن تستلم فرنسا مشعل روما في الشمال الإفريقي" (4) . لقد أبانت أعمال ماندوز عن أغسطين و الثقافة اللاتينية في شمال إفريقيا أن المعرفة بوسعها أن تستحيل أداة عميقة الأثر في خدمة القيم الإنسانية العليا و الكرامة البشرية.

و إذ نعود إلى الرواية في تتبعها تجربة أبوليوس ، فإننا نشير إلى أن ذلك كان مقترنا برغبة من لدن المؤلفة في إعطاء الكلمة للأموات من أجل أن يعلمونا كيف نحيا . هكذا جاء على لسان الساردة . إنها حرفة الكتابة و التدريس أيضا ، إذ يتقاطعان في هواجس الانبعاث و التحول و العودة إلى الحياة من رماد الفناء.

ضمن هذا السياق الروائي ، يطل علينا أبوليوس ، متماهيا مع كافة دلالات التحول و الانفلات و الارتحال في زواياها الوجودية و المعرفية المتأصلة في الأعماق . و من هنا نفهم إيحاءات العنوان " حمامة كانط " . إنها الفلسفة التي توفر للكائن إمكانات التحرر من دوائر الانغلاق الكبير ، و تفتح أمامه دروب التسكع بوصفه فعلا مبدعا كما يذهب إلى ذلك والتر بنيامين ، و كما تصوره الرواية أيضا " إنها مثل حمامة كانط ، الهواء الذي يقاوم ، ذلك أنه لا يعيق طيران الحيوان ، و لكنه بخلاف ذلك ، يدفعه و يعينه على الحياة . كل ذلك شبيه بكتابات التخييل التي أحببتها و جعلتك تقيمين في واقع هذا العالم (5) ، كما ورد في بوح الساردة. تتوالى الأسئلة الكبرى عن الحياة و الخيال ، إذ يشتركان في جوهر عدم الاكتمال ، و يتراءى للكائن أن وجوده لا يتحقق إلا في أفق التخييل و ما يقتضيه من إمكانات العبور ، ذلك أنه " لا يجب أن ننسى بأن كلمة " وجود " نفسها في اللغة اللاتينية ek- esistense تدل على الحركة و القطيعة و الانصراف و الابتعاد ، أن توجد معناه أن تخرج من ذاتك و تنفتح على الآخر و لوغلب على ذلك الانتهاك و الاختراق" (6). و هل يمكن للانفتاح العميق أن يتأسس خارج تجربة التخييل في أبعاده التكوينية الكبرى و آفاقه الواسعة؟

يلقي أبوليوس ، بوصفه كائنا روائيا، بظلاله الوارفة على كافة الشخصيات الأدبية المتفاعلة في النص . ففضلا عن القديس أغسطين و رحلته الغنية ، تتم الإشارة أيضا إلى فلوبير G. Flaubert، و هو يتعقب آثار سلامبو Salammbô ليعيد بعث هذه الملكة التي طبعت آثارها على وجه الجغرافيا و الثقافة في تلك المنطقة ، كما تتم الإحالة إلى فرومنتان Fromentin الرسام و الرحالة الفرنسي الذي بعث في الصحراء الجزائرية ، و أمكنه إذ ذاك تشكيل المكان فنيا في لوحاته المبدعة ، و لاسيما في لوحة " العطش " la soifالتي سطرت ميتولوجيا الموت و

الوجود . و لم تكن المؤلفة نفسها بمنأى عن هذه الارتحالات . ألم تجد نفسها في لحظة من لحظات القدر قنصلا في مدينة بساسون Besançonالفرنسية ، مدينة فيكتور هيغو التي عرفت مولده ، و التي أقام فيها أيضا بطل ستندال Stendalالفيتيشي، كما تصفه الرواية ؟ و هكذا ، وجدت نفسها غريبة في مجال بعيـد (الشؤون الخارجية) étrangère aux affaires étrangères بتعبيرها .ألم يكن ذلك سرياليا ؟ يجيب معها راينا ماريا ريلـكه (7) ، شاعر ألمانيا الكبير و صوت الوجود في تمزقه و اغترابه.

لقد أطلت الروائية – الساردة من رماد موتها الرمزي ، لتبعث حياة جديدة داخل جدران الوظيفة الجامدة ، عبر مسالك الكتابة و الخيال وعشق حفيف اللغة و أطياف الكلمات ، فكانت مثل قرطاجة التي نهضت من رمادها فينيقا منطلقا، متعالية على جروح الحروب و الهزائم المتتالية (8) ، و منها سينهل أبوليوس ، ثم تكون الوجهة بعد ذلك إلى معقل الإشعاع الفكري و الفلسفي أثينا ، ليعود بعدها و قد تحقق إشعاعه هو . لم تستطع أثينا أن تغوي ابن مادور كما فعلت بينيلوب مع أوليس ، فقد استطاع أن ينسل من رباطها السحري و ينعتق من أسر كوابحها العقلانية . إن مصائد الفلسفة كانت عاجزة على اعتقال هذه الروح القلقة ، بل هو " بؤس الفلسفة " . أفلاطون يمارس العقل ، بينما أبوليـوس يشع " (9) : misère de la philosophie . Platon raisonne , Apulée rayonne . مكنت تجربة أثينا أبوليوس من أن يلتقي بآفاق معرفية جديدة و أن ينفتح على عقلانية يوفرها مجال ثقافي مختلف ، وربما كان ذلك من دوافع تحرره من سلطة الانغلاق و الدوغمائيـة و اختياره العقل الفني أداة للتفكير في الوجود الإنساني ، لما لهذا العقل من طاقات لانهائية للغوص في أعماق الكينونة التي كثيرا ما تعتقلها أدوات الفلسفة في ضروب من المفاهيم و المقولات تحول دون رؤية الأشياء في بكارتها و عرائها الأول .

لقد كان أثر أبوليوس عظيما من خلال " الحمار الذهبي " أو التحولات . و ليس من الغلو اعتبار النص تأسيسيا بامتياز ، شأنه في ذلك شأن الأعمال الإنسانية العظيمة في الفكر و الفلسفة و الأدب و الفنون ، تلك الآثار الكبرى التي تطل بعمق و أصالة على هوة الكائن البشري في تساميه و انحداره و في كافة أوجه وجوده المتناقضة . إن تحولات أبوليوس هي من هذه الكتابات التي تنفذ إلى مهاوي الإنسان و نوازعه الضاربة في العمق ، تحكي المغامرة البشرية في تقلباتها و انعطافاتها الحاسمة . أليست المغامرة هي روح الرواية الحديثة كما يراها ميلان كونديرا متجلية في النص الروائي التأسيسي " دون كيشوت " ، " فالمغامرة مطلوبة منه ... ما لذي حدث إذن بعد ثلاثة قرون للمغامرة ، هذه الثيمة الكبرى للرواية ؟ هل صارت مسخ ذاتها ؟ ماذا يعني ذلك ؟ هل يعني أن طريق الرواية ينغلق بمفارق ؟ " (10) . يمكن أن نعتبر هذه الأسئلة أكثر إلحاحا على كتاب التحولات . فشوق المغامرة و ارتياد الآفاق القصية و البعيدة ، و النزوع إلى الإطلال على الوجود الإنساني من شرفات المعرفة القلقة ، هو ما يؤسس روح هذا العمل الأدبي و جوهره.

يحضر التحول في الرواية بوصفه رديف الأشواق الإنسانية الدفينة للوقوف على سواحل الكينونة و العالم . إن فعل المسخ الذي يشكل خيط النص و موجهه هو مدار المغامرة التي تجد تفسيرها في النزوع المتأصل فينا إلى اللانهائي ، و هو نزوع خلدته كبرى الآثـار منذ جلجامش ، وصولا إلى الإنسان المعاصر . إنه " ما يسميه دوركايـم ، و بحق ، عودة إلى صنف من " الظمأ الإنساني إلى اللا نهائي" و الذي توهمت حضارة مفرطة في عقلانيتها بأنها أزاحته عن الطريق إلى غير رجعة " (11) ، لكنه ما يفتأ يعلن عن نفسه في أشكال مختلفة من المعرفة ، بل في أنماط متباينة من السلوك و الوقائع.

و من هذا المنطلق ، يشع أبوليوس في الرواية باعتباره صانع " سرد عجائبي " récit fantastique، بل خالق "كوميديا بشرية في الهواء الطلق " . و لنتذكر أن الرواية استحضرت أبوليوس في سياق الهوس بالمعرفة – هكذا

نرى الأمر على الاقل – أوهو ما يسمح به الخيال من قوى ماردة لفعل الكتابة و الأدب . ذلك هو الفضاء الذي يتم التحرك فيه إزاء استدعاء هذه الشخصية . و إذا كان الهواء يمكن حمامة كانط من أن تنطلق في أجواء الفضاء دون أن يعرقل حركة طيرانها ، تماما كما تفعل الكتابة بالنسبة للكائن ، حيث تطلق أعنة الكينونة المعتقلة نحو مرافئ الانعتاق ، غير أنها مرافئ مفتوحة على كافة المخاطر أيضا ، ذلك أن الكتابة بقدر ما توفر إماكانات الانفلات العابـر من كوابح الشرط الإنساني ، فهي ايضا تخيف كما يقول بارت ، إذ تجعل العالم و الأشياء في حالة من الإرجاء و الغياب بتعبير دريدا.

تندفع حمامة كانط نحو الانطلاق يقودها الهواء ، و لكن حمار أبوليوس يركن إلى أذنيه في سعيه إلى المعرفة " وداعا أيتها الاجنحة و لكن ليست السماء الحقيقية ، فالحمار الذهبي يتمتع بأذنين كبيرتين مشعتين على العالم من فوق و من تحت و حيثما وجد شيء يمكن أن تعلمه " (12) . تقودنا رمزية الحيوان الممسوخ في هذا الأثر إلى مسألة شائكة في أنطولوجيا الكائن الإنساني ، إنه ذلك الشوق الكامن فينا إلى خلع حجب البشرية بغية الوقوف على عالم مختلف و الاستئناس بحيوات أخرى علها تمكننا من الانسلاخ من هذا الرباط الوثيق الذي فرضه علينا الشرط البشري . وقد يرافق ذلك قوى السخرية من وجودنا نفسه و ضيق من قبحنا أيضا . ذلك أن " القبح حاجز كاف للخروج من عالم الإنسان . بيد أنه هنا أيضا يكمن الرعب : كل الضحك البشري يقبع على حدود الحيوان . نحن لا نضحك لأننا بشر فقط ، و نحـن مثيرون للضحك بقدر ما تصدع الغلاف البشري حول حوانيتنا " (13). لعل تلك هي حكمة كتاب التحولات التي مفادها : أن تعرف هو أن تطلق قوى التساؤل الكلبي التي تسخر من كل الضوابط و لا تحفل سوى بطاقات السؤال غير المحدودة.

هل كان أبوليوس مناوئا للعقلانية اليونانية في نظرية المعرفة ؟ و هل كان يتعمد الاحتفاء بالنزعات الريبية التي لم تخل منها الفلسفة في كل الأزمان و الثقافات ، من منطلق أن التحرر من العقل المنظم كما أشاعته هذه العقلانية ، هو مفتاح الظفر بحقائق لا يمكن أن نطالها في ظله ؟ أم ان هذه الأمشاج من الثقافة اللاتينية و التكوين في ظل اللوغوس اليوناني الذي انفتح عليه أثناء دراسته في أثينا ، مع ما يمكن أن نلحقه بشخصيته من روح شمال إفريقية ذات امتدادات شرقية إلى حد ما ، هو الذي كون لديه هذه النزعـة في التفكير و الكتابة الأدبية التي تجد محاضنها في فلسفة كلبية تقع في مواجهة مع سلطة اللوغوس المتغلغلة في أثينا و أوساطها الأكاديمية المتمركزة حول العقل الحاسم ، " فمنطق التشكيك بامتلاك الحقيقة المعرفية هو نموذج اتبعه الكلبيون ، فالجميع سيئ بالنسبة للحقيقـة ، الجميع سيئ بالنسبة للنظرية ، لذلك يؤكدون على وجوب أن نكون يقظين ذهنيا دائما ، من أجل رد كل ما هـ ومضاد " (14) ، و كل ما يقوم حائلا بيننا و بين استبصار الحقائق و الأشياء في عريها و بداهتها . يعلمنا الفكر الكلبي فضيلة الاحتجاج على كل ما ينصب بوصفه الطريق التي ينبغي أن نسلكها . و ليس بعيدا عنه ما نعرفه عن الروح السقراطية من قوى التفكير الهارب من الأطر عبر مسالك السخرية التي غدت نهجا في تجربته المتميزة . لقد كان سقراط " يرى أن السخرية هي التي تعرينا أمام أنفسنا و تكشف لنا أخطاءنا و تزيل عنا غاشية الغرور و تعد عقولنا لقبول المعرفة " (15) ، كما يقول عنه محمد عبد الرحمن مرحبا.

تطرح عائشة كسول إذن ، صورة أبوليوس النازع إلى كسر الأطر وتجاوز الحواجز التي تعيقنا على الطيران في سماء المعرفة الإنسانية ، عبر التحرر من أشكال القصور الذي تفرضه الثقافـة و الطبيعة أيضا . إن اقتران الحمامة بكانط له ما يبرره – في تقديرنا – فكثيرا ما يقترن اسم كانط بذلك النص المؤسس في الفكر الغربي عن الأنوار . فقد كان جوابه عن سؤال يتصل بهذا المفهوم ، أنه خروج الإنسان من قصوره الذي هو مسؤول عنه .

وإن الجرأة على التفكير بمعزل عن الوصاية هو روح الأنوار كما وصفها تودوروف . ألم يكن أبوليوس في تحولاته غير هذا الكائن في سعيه إلى المعرفة خارج المسالك المعهودة التي سطرتها أنظمة الفكر المغلقة؟

و قد أعطت الرواية لهذه الصورة المهتزة شرعية ميتولوجية، من خلال حشد جملة من الأساطير التي يمكن استجماع الخيوط التي تربط بينها في فكرة التحول و العبور. و على هذا الأساس ، تحفل الرواية بأساطير أفروديت و إيروس و ثناتوس و فينوس و إيزيس و ديونيزوس ...(16) . إن ديونيزوس – مثلا – يجسد مبدأ العربدة و النشوة و الانطلاق ، في مقابل أبولون الذي يمثل التأمل و النظر و التفكير المنضبط. و قد رأى نيتشه في الديونيزوسية و الأبولونية ركيزتي الفن و جوهر وجوده.

و قد يسعفنا إيكو في هذا الخط التأويلي ، فهو يرى " العالم الإغريقي على الدوام فريسة لفكرة "اللانهائي " . إن اللانهائي هو الذي لا يملك حدودا ، إنه ينزاح عن القاعدة . و لأن الحضارة الإغريقية كانت مهووسة بفكرة اللانهائي ، فإنها بلورت على هامش مبدأي " الهوية " و " عدم التناقض" فكرة المسخ الدائم مرموزا إليها بهرمس " (17) الذي فضلا عن كونه رسولا بين الآلهة ، فهو ينطوي على كافة أشكال المسخ و التقلب . و هكذا يبني المجال المعرفي الإغريقي ما يمكن اعتباره معادلا لنظام اللوغوس المهيمن في الفكر الفلسفي و العلمي ، عبر ميتولوجيا الانعتاق من أسر النظام العقلاني بواسطة الحضور المزدوج للوغوس و الميتوس معا.

و بعيدا عن هواجس المعرفة و أسرار الكتابة في مواجهة العالم ، كما جسدتها تجربة استحضار أبوليوس في هذه الرواية ، لا يمكننا أن نغفل راهنية أبولويس نفسه و وأصدائه على الواقع المعاصر و تقلباته ، ذلك أنه مع أغسطين خصوصا ، تطرح أسئلة الكاتب و المثقف في مربع الهزات الحضارية و الثقافية ، حيث يعلو قلق الانتماء و مخاوف الهواجس الهووية ، و هو ما تظهره صورة الكاتب المتجذر في تربة الأرض الإفريقية من ناحية ، و الذي لا يجد محيصا عن اللغة و الثقافة اللاتينية في حياته الفكرية من ناحية أخرى ، مما يعمق تصدعات و انكسارات روحية عايشها كل من كان في وضعه ، و ذلك من منطلق ما تمارسه الثقافة العالمة برمزياتها اللغوية و المعرفية من ضروب التعالي و السيطرة و التبجح أحيانا ، على شاكلة ما ورد في الرواية من ذلك التصريح المتعجرف الذي أطلقه كلود غيون c. Guilland ومفاده أن الحضارات لا تتساوى(18) toutes les civilisations ne se valent pas

إن هذا الاندفاع يجد جذوره في ما أطلقه مؤرخون و أركيولوجيون و علماء تحليل نفسي فرنسيون ممن يعرفون بمدرسة الجزائر l'école d'Alger و الذين تعمق فرانز فانون في الرد عليهم على صعيد التحليل النفسي ، كما تصدى لذلك محمد الشريف ساحلي على مستوى التاريخ و السوسيولوجيا . و في هذا السياق الأخير ، تصادفنا أطروحات " الشخصية السلبية " و " غياب كل أصالة إبداعية " و " العجز المتأصل عن الوحدة السياسية " ، و غير ذلك مما شكل ما يشبه البداهات لدى مؤرخي هذه المدرسة. و لاشك أن هذه المقولات تضمر بداخلها أدلة تهافتها، إنها امتداد للأنتروبولوجيا الاستعمارية التي تحركت " علميا " بدافع الالتزام بقضية التفوق الطبيعي ، فكان ذلك أساس تصدع نظامها الفكري . و إن ما قدمه كلود ليفي شتروس في أنتروبولوجيته البنيوية كاف لإسقاط هذه المزاعم . و قد لا أجد أفضل مما قاله جاك بيرك j. Berque في هذا السياق : " ليست هناك مجتمعات متخلفة ، هناك فقط مجتمعات لم تحظ بالتحليل الكافي " : il n'y a pas de sociétés sous développées ,seulement des sociétés sous analysées .(20)

ربما أثار وضـــع أبوليوس الثقافي مثل هذه الأسئلة التي لم تخفها الروايـة ، و لكن ، في كل الأحوال ، يمكن أن نعتبر أثر أبوليـوس نسيجـا من المحليـــة و الكونيـــة ، و أن الكوني لديه تأسس على عمق التجذر في المحلي (21) . و تلك سمة جوهرية من سمات الآثار الفكرية و الأدبية العظمى التي يتاح لها أن تنفذ إلى الكلية الإنسانية من خلال الإنصات للهموم الذاتية و المحلية.

هكذا التقطت عائشة كسول في هذه الرواية أطيـاف أبوليوس في مجمـل نوازعه و تحولاته ، باعتباره كائنا روائيا قبل أن يكون وجودا تاريخيا.

الهوامش :

1-Aicha Kassoul , la colombe de Kant , casbah ed , Alger , 2017, p122.

2-Tassaadit Yacine ,Jean Amrouche l'éternel exilé ,casbah ed , Alger ,2012,75.

3- la colombe de Kant,p13.

4-Ait sidhoum Slimane , les voyageurs français du xix et le génie littéraire des autochtones de l époque romaine : Apulée de madaure comme exemple emblématique , regards croisées sur Apulée actes du colloque international , Souk ahras du 30mai au 01 juin 2015, Enag , Alger , 2016 ,p164.

5- la colombe de Kant,p176.

6- ميشيل مافيزولي ، في الحل و الترحال عن أشكال التيه المعاصرة ، ت : عبد الله زارو ، إفريقيا للشرق ، 2010 ، ص 28.

7- la colombe de Kant,p104.

8-ibid ,121.

9- ibid., 140.

10- ميلان كونديرا ، فن الرواية ، ت : بدر الدين عرودكي ، الأهالي للطباعة و النشر ، دمشق ، ط1 ، 1999، ص17.

11- ميشيل مافيزولي ، في الحل و الترحال، ص99

12- la colombe de Kant,p129.

13- فتحي المسكيني ، الهجرة إلى الإنسانية ، منشورات الاختلاف – ضفاف – الأمان- كلمة ، ط1 ، 2016 ، 301.

14- رائد دعيبس ، فلسفة السخرية عند بيتر سلوترديك ، منشورات الاختلاف – ضفاف – الأمان كلمة، ط1 ، 2016، ص 255- 256.

15- محمد عبد الرحمن مرحبا ، مع الفلسفة اليونانية ، منشورات عويدات ، باريس –بيروت ، ط3 ، 1988، ص98.

16- la colombe de Kant,p124-132.

17- امبرتو إيكو ، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ت : سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، 2004، ص28.

18- la colombe de Kant,p112.

19- Mohamed Cherif Sahli, décoloniser l'histoire , anep Alger ,2007, p59-60.

20- Mustapha Cherif et Jean Sur , Jaques Berque orient-occident , anep ,2004,p50.

21- Arezki Metref , pourquoi et comment parler d Apulée aujourd'hui ,regards croisées sur Apulée ,opcit,p211.